



أكاديمية الفرقان  
للتقافة الإسلامية

الفصل الدراسي الأول

# مادة التفسير

المحاضرة (1)

دكتور محمد الجهمي

أكاديمية الفرقان للتقافة الإسلامية  
ميراث النبوة معك حيثما كنت



forqanacademy

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

### فضل كتاب الله تعالى

لا شك أن أجمل اللحظات التي يعيشها الإنسان في هذه الحياة؛ هي الأوقات التي يعيشها مع كتاب الله سبحانه وتعالى، هذا القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بأوصافٍ متعددة:

1. وصفه بأنه هدى: **"ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ"** البقرة: ٢.

2. ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه نور: **"قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ"**

**رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ"** المائدة: ١٥.

3. ووصفه الله سبحانه وتعالى بأنه كتابٌ مبارك: **"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ"** ص: ٢٩.

فهذا الكتاب بهذه الأوصاف الجميلة ينبغي على المسلم أن يهتم به أبلغ الاهتمام، وأن يجعله أولى أولوياته وأعلى اهتماماته، ولذلك الله سبحانه وتعالى أنزله علينا من أجل أن نتدبره، ومن أجل أن نتعلمه، ومن أجل أن نعلم ما جاء فيه؛ فهو رسالة من الله سبحانه وتعالى إلى عباده.

الرسول ﷺ رغبتنا في كثير من الأحاديث الصحيحة، في تعلم هذا الكتاب وفي مدارسته وفي حفظه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **"خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"** رواه البخاري، فالخيرية تكون لهذا الإنسان الذي يهتم بكتاب الله سبحانه وتعالى تعلماً وتعليماً.

والرسول ﷺ رغب في ذلك أيضاً في الحديث عندما ذكر للصحابه الكرام، فقال ﷺ لصحابته:

**"أَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ"،** مكان في المدينة؛ سوق، **"فَيَأْتِي مِنْهُ"** أي يرجع منه **"بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ"** عظيمتين، **"فِي غَيْرِ إِيَّامٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟"** فقالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: **"أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ، وَأَرْبَعُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعِ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ"** رواه مسلم.

فهذا يدل على فضيلة مدارس كتاب الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى قال: **"كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ"**

**إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"** ص: ٢٩، والله سبحانه وتعالى قال: **"أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ"**

**كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"** النساء: ٨٢، وقال سبحانه وتعالى: **"أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى"**

**قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا"** محمد: ٢٤، لذلك حريٌّ بالمؤمن أن يعطي كتاب الله سبحانه وتعالى اهتماماً بالغاً من الحفاظ

والمدرسة والتعلم والعمل، فلا بد أن يتبع العلم العمل، وذلك لأن النبي ﷺ عندما أخبر أن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، كما جاء في الحديث الصحيح؛ عن النبي ﷺ أنه قال: **"إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ"** قالوا: "يا رسول الله، من هم؟" قال: **"هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"** صححه الألباني، وأهل القرآن ليس هم الحفظة فقط، وإنما أهل القرآن هم الذين يحفظون ويتدبرون، ويعملون بما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، كما وردت الآثار في ذلك.

فلذلك ينبغي على المسلم أن يهتم بكتاب الله سبحانه وتعالى، كما قال عثمان رضي الله عنه: "والله لو سلمت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا" نعم، لو سلمت هذه القلوب لا تفتقر أبداً ولا تشبع أبداً من كلام الله سبحانه وتعالى، لما فيه من الجمال، ولما فيه من العطاء، ولما فيه من الخير والبركة، التي جعلها الله سبحانه وتعالى في هذا القرآن العظيم. نبدأ بفضل الله سبحانه وتعالى، ومنتته وعونه وتوفيقه في مدرسة جزء عم، وهو الجزء الأخير من هذا القرآن الكريم.

### لماذا جزء عم؟

جزء عم يستهله كثيرٌ منا في قراءته، ويردده كثيرٌ منا في أحيانه وأوقاته، وذلك لأنه اشتمل على قصار السور، فكثيرٌ من المسلمين يستهل هذا الجزء وهذه السور في صلاته، في تلاوته، وهو أول السور وهو أول جزء يحفظه كثيرٌ من المسلمين، أكثر من بدأ في حفظ كلام الله سبحانه وتعالى، يبدأ بحفظ جزء عم لسهولة ويسره. والله سبحانه وتعالى عندما رتب القرآن هذا الترتيب الجزئي وترتيب السور، جعل جزء عم هو آخر الترتيب المصحفي، وبث فيه ما أراد الله سبحانه وتعالى في التسعة وعشرين جزءاً، جمع الله فيه أصول الإسلام، وقواعد الدين التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يختصرها للمسلم، فكان الله سبحانه وتعالى أراد من المسلم أن يستجمع، وأن يُجمع ما تلاه في كتاب الله سبحانه وتعالى في التسعة وعشرين جزءاً في هذا الجزء الكريم، فكانه ملخصٌ لقواعد الدين، وأصول الإسلام التي أرادها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم.

نبدأ بتوفيق الله سبحانه وتعالى وعونه في مدرسة هذه السور العظيمة.

## سورة النبأ

## معنى الاستعاذة والبسملة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ \* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ \* كَلَّا سَيَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" النبأ: ١-٥ ، شرع الله سبحانه وتعالى لعباده عندما يقرأون كتابه، أن يستعيذوا بالله سبحانه وتعالى، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: "فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" النحل: ٩٨ ، وذلك لأن الشيطان هو أصل الشرور والضلالات، والإنسان يحتمي بجناب الله سبحانه وتعالى.

"الاستعاذة": هي طلب العوذ، وطلب الحماية، والتحصن بالله سبحانه وتعالى، فالمسلم يستعيذ بالله، يطلب اللجوء والحماية، والتحصن بالله سبحانه وتعالى من هذا الشيطان الرجيم، والشيطان هو من شطن أي بُعد، فهو بُعد وعتى وتمرد.

و"الرجيم" على وزن فعيل، بمعنى مفعول، أي مرجوم، وهو المطرود من رحمة الله سبحانه وتعالى. والاستعاذة باتفاق العلماء ليست آية من القرآن، ولذلك لم تكتب في المصاحف، يبدأ المسلم بطلب التحصن، والحماية بالله سبحانه وتعالى من هذا الشيطان، الذي هو عدو الإنسان الأول، الذي يصرف الإنسان عن تلاوة كتاب الله، عن فهم كتاب الله سبحانه وتعالى.

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" بسم الله ابتدائي، أو أبدأ بسم الله، متبركاً مستعيناً بالله سبحانه وتعالى، ولفظ الجلالة "الله" علم على ذات الرب سبحانه وتعالى، وهو أخص أسماء الله سبحانه وتعالى، "الله": هو الإله المعبود بحق.

"الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" اسمان لله سبحانه وتعالى يدلان أو يتضمنان صفة الرحمة؛ "الرَّحْمَنُ" هو الذي له الرحمة العامة، أي بجميع خلقه، "الرَّحِيمُ" الرحمة الخاصة بعباده المؤمنين "هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا" الأحزاب: ٤٣.

## النبأ العظيم

"عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" هذا استفهام استنكاري لهؤلاء المشركين الذين يسأل بعضهم بعضاً، "عَمَّ" أصلها "عن ما"، وأدغمت النون في الميم، ثم حذفت الألف تخفيفاً، فصارت "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ" يتساءل هؤلاء المشركين يسأل بعضهم بعضاً عن ماذا؟ "عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ"، "النَّبِيّ": الخبر، "الْعَظِيمِ": الفظيع الهائل، الذي



لا يحق لهم أن يختلفوا فيه، وأن يسألوا عنه؛ لأنه نبأ عظيم بين واضح لكل من أراد أن يتذكر، أراد الهداية.

"الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" وجاء هذا الجواب في صورة الجملة الإسمية، لم يقل الله سبحانه وتعالى الذي يختلفون فيه، وإنما قال: "الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" فجاء بهذا السياق، أي سياق الجملة الإسمية الذي يدل على الاستمرار والتمادي، والغلو في هذا الاختلاف، كأنه شيء طبع في نفوسهم وتمادوا في غيهم. "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ \* الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ" يختلفون في هذا النبأ العظيم، الذي هو يوم القيامة، الذي هو البعث، يختلفون فيه بين مصدق ومكذب، وقيل: "النَّبَاِ الْعَظِيمِ": هو محمد ﷺ؛ فاختلّفوا فيه بين مكذب ومصدق، من قال هو ساحر، من قال هو مجنون.

وقيل: "النَّبَاِ الْعَظِيمِ" هو القرآن؛ "قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ" ص: 67-68، بين من اتهم أن القرآن هذا أساطير الأولين، أو أن الرسول ﷺ تعلمه من بشر، لكن أكثر المفسرين على أن "النَّبَاِ الْعَظِيمِ" - وذلك لدلالة السياق - أنه البعث، وهو يوم القيامة والنشور والقيام إلى الله سبحانه وتعالى للحساب. "عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ، الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ، كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ"، أداة زجر ونهي، وتدل على الوعيد والتهديد، "سَيَعْلَمُونَ" عاقبة تكذيبهم، "سَيَعْلَمُونَ" حقيقة هذا التكذيب، و"سَيَعْلَمُونَ" كذلك صدق النبي ﷺ، و"سَيَعْلَمُونَ" صدق ما جاء به من الإخبار بالبعث والقيامة والنشور. "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ".

بعض العلماء قال: أن هذا التكرار للتأكيد، ولكن في الحقيقة "ثُمَّ" حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي والمغايرة، لو أراد الله سبحانه وتعالى التأكيد لقال: "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ \* كَلَّا سَيَعْلَمُونَ"، وإنما قال: "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ"، فهناك مغايرة بين العلم الأول والعلم الثاني. قال العلماء: "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" عند وفاتهم، عند نزع أرواحهم، "سَيَعْلَمُونَ" صدق النبي ﷺ، و"سَيَعْلَمُونَ" أن يوم القيامة حق، وأن البعث والنشور حق، وهذا كثير في القرآن الكريم؛ أن الإنسان عندما تأتيه ملائكة الموت يعلم علم اليقين بأن الله سبحانه وتعالى حق، وأن القيامة حق، وأن الرسول ﷺ حق "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" المؤمنون: 99-100، لأنه يعلم علم اليقين.

وكذلك قال الله سبحانه وتعالى عن فرعون "وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ" يونس: 90، فأدرك وعلم وقتها أن موسى عليه السلام حق، وأنه رسولٌ من رب العالمين، فهذا يُسمى "علم اليقين" يعلمه الإنسان عند وفاته، عند نزع روحه.

"ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ" ثم سيعلم بعد ذلك عين اليقين يوم القيامة، يوم البعث والنشور عندما يعاين الإنسان الجنة والنار، عندما يعاين الحساب، عندما يعاين الصراط، عندما يرى بعينه الصحف المتطيرة، عندما يرى البعث والنشور.

فالأول: هو علم اليقين، والثاني: هو عين اليقين، علم اليقين: يعلمه الإنسان عند نزع روحه، وعين اليقين: يعلمه الإنسان عند قيامه بين يدي رب العالمين يوم القيامة "كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ". نعم الله الكثيرة

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا، وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا، وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا، وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا، وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا، وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا، وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا، وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا، لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا، وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا" النبأ: 6-16، الله سبحانه وتعالى يذكر عباده بهذه النعم، وهذه الآيات الكونية العظيمة؛ التي ينبغي على كل عاقل عندما يتأمل فيها يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو المتفضل، وأنها تُنم وتدل على حكمة الله وعلى قدرته البالغة الذي أنعم عليكم بهذه النعم، والذي منحكم هذه النعم، والذي أحكم هذا الإحكام وأنقن هذا الإيقان، أليس هو بقادرٍ على أن يبعثكم بعد موتكم؟!

فقال الله سبحانه وتعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا" أي أما أنعمنا عليكم بهذه النعم الجليلة؟ فجعلنا لكم الأرض مهادًا؛ أي ممهدة مذللة لكم ولمصالحكم، كالمهد يكون للطفل الصغير، يكون مرتب وممهد ومذلل ومناسب لهذا الطفل.

فالله سبحانه وتعالى جعل هذه الأرض "مِهَادًا" أي مذللة لنا، بسطها الله سبحانه وتعالى، أودع فيها من المنافع سبحانه وتعالى ما ينتفع به الإنسان "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا"، هذه نعمة عظيمة، أن الله سبحانه وتعالى جعل الجبال أوتاد لهذه الأرض، لئلا تميد ولئلا تضطرب، نحن نسير على هذه الأرض ونمشي عليها وهي مستقرة، ولا نستشعر بهذه النعمة العظيمة من الله سبحانه وتعالى.

الله سبحانه وتعالى أودع في هذه الأرض هذه الجبال التي جعلها أوتاد، الأوتاد جمع "وتد"، والوتد هو ما تثبت به الخيمة، بيوت العرب من الخيام، تكون لها أعمدة لكن لا بد لها من أوتاد يثبتون بها هذه الخيام حتى لا تطير، وحتى لا تضطرب مع وجود الريح، فالله سبحانه وتعالى جعل لنا هذه الجبال أوتاد، أي كالأوتاد، وهذا تشبيهٌ بليغ فعندما حذف الله سبحانه وتعالى أداة التشبيه فلم يقل الجبال كالأوتاد؛ وإنما قال الله سبحانه وتعالى: **"وَالْجِبَالُ أَوْتَادٌ"**، فهذا تشبيه بليغ، الجبال أوتاد لهذه الأرض، تثبت الأرض لئلا تميد.

**"وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا"**: أي ذكورا وإناثا، من جنسٍ واحد ليسكن كل واحدٍ إلى الآخر، فتكون الحياة التي ملؤها الرحمة، والمودة بين الزوجين وتنشأ الذرية، وهذا امتنان من الله سبحانه وتعالى، عندما جعل الله سبحانه وتعالى لنا أزواج، فهذه منّة وآية من الله سبحانه وتعالى.

### نعمة النوم

**"وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا"**، أي راحة لكم وقطعاً لأشغالكم، وهذه والله من أعظم النعم، التي يُنعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان تستوجب الشكر والامتنان لله سبحانه وتعالى، وكثيرٌ منا لا يستشعر بهذه النعمة، النوم نعمة عظيمة، لا يدرك قيمة هذه النعمة إلا من حُرِم، من ابتلي بالأرق وهو عدم النوم، هناك بعض الناس يأتي ويقول: أنا سوف أجن، سيطير عقلي من قلة النوم، سبحان الله العظيم.

الله سبحانه وتعالى جعل هذا النوم راحةً لهذه الأبدان، وجعل هذا النوم قطعاً للانشغالات حتى يستعيد الإنسان قواه، عندما يبذل الإنسان ويسعى في الأرض ويعمل، يصيبه الفتور، ويصيبه الوهن والتعب، فعندما يدخل في النوم - سبحان الله العظيم - يقوم ويكأن لم يكن قد تعب قبل ذلك، يعود بعد نومه مستريحاً مستجمعاً لقواه، حتى يُعاود العمل مرةً أخرى؛ نعمة عظيمة.

ولذلك شرع لنا الرسول ﷺ حينما يستيقظ الإنسان من نومه، أن يقول: **"الحمد لله"**، يشكر الله

سبحانه وتعالى، **"باسمك الله أموتُ وأحيا، الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النُشورُ"** صححه الألباني،

يشكر الله ويحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة، النوم نعمة جليلة؛ ينبغي على الإنسان أن يستشعرها وأن يستحضرها وأن يشكر الله سبحانه وتعالى عليها.

بالفعل مرض الأرق وقلة النوم أمر صعب جداً، يعاني منه بعض الناس، يكاد يُجن الإنسان إذا لم

يرزقه الله ويمتن عليه بالنوم، نعمة عظيمة تستوجب الشكر، لذلك قال الله سبحانه وتعالى: **"وَجَعَلْنَا"**

**نَوْمَكُمْ سُبَاتًا** أي راحة لكم، وقطعاً لأشغالكم التي متى تمادت بكم واستمرت؛ أضرت بأبدانكم فجعل الله سبحانه وتعالى الليل والنوم يغشى الناس، لتسكن حركاتهم الضارة وتحصل راحتهم التامة.

### نعمة الليل والنهار

**"وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا \* وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"** النبأ: ٩-١١،

يغشاكم بظلامه، اللباس هو ما يستر الإنسان، فالليل هو كاللباس للإنسان يستر الإنسان بظلامه، في الليل يحتاج الإنسان إلى قضاء بعض الحاجات، التي لا يحب أن يطلع عليها أحدٌ من الناس، بالليل ينام الإنسان وهو نائم قد يتعري، قد تنكشف عورته، الله سبحانه وتعالى جعل هذا الليل كاللباس له يستره، يستر الإنسان، **"وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"** جعل الله سبحانه وتعالى النهار للمعاش، يسعى الإنسان في الأرض لا ابتغاء الرزق، ويسعى في مصالحه ويقضي حاجاته.

نعمة من الله سبحانه وتعالى أن جعل الليل لنا، وجعل لنا النهار، جعل الليل راحة لنا، وجعل النهار من أجل أن نسعى فيه ونعيش، هذا والله فضلٌ من الله سبحانه وتعالى ونعمة، للأسف الشديد انقلب الحال عند كثير من الناس ومن المسلمين، كثيرٌ من المسلمين إلا من رحم الله، جعل النهار ليلاً، والليل نهاراً، يسهرون ويتمادون في السهر، ويضيعون ما أوجب الله سبحانه وتعالى عليهم من الواجبات، من صلاة الفجر وغيرها، ثم ينامون بالنهار، ولذلك يجد الإنسان الاضطرابات النفسية، ويجد الإنسان الاضطراب في بدنه لأنه خالف هذه السنة الكونية.

نعم هذا هو الأصل؛ الأصل أن الله سبحانه وتعالى جعل الليل للنوم، للراحة، لانقطاع الأشغال، وجعل النهار للمعاش، لكن إذا كانت هناك حاجة أو ضرورة لا بأس بذلك، لكن ليس هذا هو الأصل، كأمر في حراسة حدود، أو ما شابه ذلك، سهر في طلب العلم أو غير ذلك، لكن هذا ليس هو الأصل، الأصل أن الإنسان تكون راحته بالليل، ويكون النهار للمعاش.

### آية خلق السماوات

**"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا \* وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا \* وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا"** النبأ: ١٠-١٢. أي سبع سماوات

في غاية الشدة، والقوة والصلابة، وقد أمسكها الله بقدرته وجعلها سقفاً للأرض، فيها منافع متعددة، زينها الله سبحانه وتعالى بهذه النجوم، آية عظيمة من آيات الله.



ما أحوج الإنسان أن يتأمل في هذه السماء، هو خلق واحد من خلق الله سبحانه وتعالى، هذه السماوات العظيمة حتى الآن وحتى قيام الساعة، لا يستطيع الإنسان مهما تقدم بعلمه لا يستطيع أن يحيط بهذا المخلوق، لا يستطيع الإنسان أن ينتهي إلى أطراف السماوات، إلى أين تنتهي؟ وكيف تكون؟ لا يعلم ذلك إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا خلقٌ واحدٌ من خلق الله سبحانه وتعالى، فما بالكم بالخالق العظيم سبحانه وتعالى؟!

**"وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا"** يتأمل الإنسان في هذه السماء، كيف رفعها الله سبحانه وتعالى بغير عمد؟! رفعها الله سبحانه وتعالى مع حجمها العظيم ومع سُمُكها، قيل أن سُمُك السماء مسيرة خمسمائة عام، يا الله! خلقٌ عظيم من خلق الله، رفعه الله سبحانه وتعالى، جعله سقفاً لنا بدون أعمدة، آية عظيمة، أودع الله سبحانه وتعالى فيها من الزينة، وجعل فيها من النجوم التي جعلها رجوماً للشياطين، أودع الله سبحانه وتعالى فيها من الكواكب التي ينتفع بها الإنسان.

ثم قال الله سبحانه وتعالى وذكر من منافع هذه السماوات: أن جعل فيها هذه الشمس: **"وَجَعَلْنَا**

**سِرَاجًا وَهَّاجًا"** نبه بالسراج على الضوء، نحتاج إلى ضوء الشمس في النهار، حتى نسعى في حياتنا ونقضي حاجتنا، وقال سبحانه وتعالى: **"وَهَّاجًا"** الوهاج يحمل الحرارة التي ينتفع بها الإنسان، في طهي الطعام، في إنضاج ما يحتاج إلى إنضاجه، ينتفع بحرارتها، فنبه الله سبحانه وتعالى بالسراج على النعمة بنورها، التي صار ضرورةً للخلق، وبالوهاج وهي حرارة الشمس، على ما فيها من الإنضاج والمنافع التي يحتاجها الإنسان.

### نعمة المطر

**"وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا"** المعصرات هي السحاب، يقال: امرأةٌ معصر أي قاربت على الحيض، أو بلغت سن الحيض ولم تحض بعد، فالمعصرات هي السحابة؛ التي كادت أن تمطر ولم تمطر بعد، **"وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا"** ماءً صباباً، كثيراً متتابعاً، كثيراً جداً.

**"لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا"** لنخرج بهذا الماء الحبوب، كالبر والشعير، والذرة والأرز، وغير ذلك مما يأكله الإنسان، ونباتاً يشمل جميع النباتات التي ينتفع بها الإنسان، وكذلك تكون عشباً للحيوان.

**"لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا \* وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا"** جمع جنة وهي البستان: جنات، بساتين؛ **"أَلْفَافًا"**: ملتفة، مجتمعة فيها جميع أصناف الفواكه اللذيذة، فالذي أنعم بهذه النعم العظيمة الجليلة، التي لا يقدر قدرها، ولا

يحصي عددها أحد، كيف تكفرون به؟! وكيف تعرضون عن آياته؟! وكيف لا تشكرونه سبحانه وتعالى؟! كيف تتعتنون وتكذبون البعث والنشور؟! والله سبحانه وتعالى الذي خلق هذه الآيات، وأنعم بهذه النعم قادرٌ على بعثكم، وقادرٌ على إعادتكم للحساب والجزاء يوم القيامة.

### يوم القيامة

ثم قال الله سبحانه وتعالى بعد ذلك: **"إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا \* يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا \* وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا \* وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا \* إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا \* لِلطَّاغِينَ مَابًا \* لَا بُشِينَ فِيهَا أَحْقَابًا \* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا \* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا \* جَزَاءً وَفَاقًا \* إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا \* وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا \* وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا \* فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا"**

النبأ: ١٧-٣٠ بعدما ذكر الله سبحانه وتعالى صوراً من نعمه وآياته الكونية، ذكر الله تعالى ما يكون في يوم القيامة، الذي يتساءل عنه هؤلاء المكذبون، ويختلفون فيه ويجحدون ويعاندون هو يومٌ عظيم، الله سبحانه وتعالى قال: **"إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا"**، يوم القيامة يسمى "يوم الفصل"، لأن الله سبحانه وتعالى يفصل فيه بين العباد، يفصل فيه يحكم فيه بين الخلق.

**"إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا"** أي ذا وقتٍ محدد، لا يتأخر ولا يتقدم، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، هو مؤقت بوقتٍ محدد، لا يتأخر ولا يتقدم، **"إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا"** موقات للخلق، **"يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"** الصور هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، إسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور، **"يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"** تأتون جماعات، جماعات تأتي كل أمه مع نبيها، **"تَأْتُونَ أَفْوَاجًا"**.

هذا اليوم **"يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا"**، يجري فيه من الزعازع والقلقل ما يشيب له المولود، وتنزعج له القلوب، يشيب له الشعر، فتسير الجبال حتى تكون كالهباء المنثور، **"إِنَّ يَوْمَ الْفُضْلِ كَانَ مِيقَاتًا \* يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا \* وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا"** تفتح السماء وتكون كالأبواب لنزول الملائكة منها، **"وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا"**، **"سُيِّرَتِ"**: تحركت الجبال، **"فَكَانَتْ سَرَابًا"**: أي كانت كالسراب يراه الإنسان ماء وما هو بماء، فكذلك الإنسان يرى وينظر إلى الجبال كأنها شيء، وليست بشيء، الله سبحانه وتعالى ينسفها نسفاً، يجعلها هباءً منثوراً.

## عاقبة الطاغين

"وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا \* إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا"، الرصد هو: الترقب والاستعداد، فجهنم مترقبة ومعدة لهؤلاء المشركين، ينبغي علينا عندما نسمع ذلك؛ أن يلجأ المسلم إلى ربه، ويستعيد من جهنم، لذلك شرع لنا رسولنا ﷺ الاستعاذة من عذاب جهنم في دبر كل صلاة بعد التشهد، يستعيد المسلم من جهنم.

"إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا" مرصدة ترقب المشركين، ومعدة لهم تنتظر متى تلتهمهم وتلتقمهم؟ نعوذ بالله من جهنم، "إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا \* لِلطَّاغِينَ مَابًا" مَابًا: أي مرجعًا ومآلاً لهؤلاء الطاغين، الطغيان: من طغى أي جاوز الحد، فالطغاة هم من جاوزوا حد العبودية، فعلوا ما حرم الله سبحانه وتعالى، وتركوا ما أوجب الله سبحانه وتعالى، جاوزوا حدود العبودية لله سبحانه وتعالى، فلذلك هم طغاة.

"لِلطَّاغِينَ مَابًا" للطاغين مآبًا: أي مرجعًا ومآلاً ينتهون إليها والعياذ بالله، "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا" ماكثين فيها أحقابًا، أحقابًا جمع "حُقب" بالضم، أما "حُقب" بالكسر جمعها حِقَب، الحقب عند أكثر أهل التفسير هو ثمانين سنة، والحِقب بالكسر هو سنة، الحُقب بالضم جمعه أحقابًا، "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا" كلما انتهى حقب أتى آخر، أي لا يخرجون منها أبدًا، بعض الأفاضل فهم من هذه الآية وما شابهها أن النار تنتهي في يوم من الأيام وتفتنى، وهذا يعني قول ضعيف، خالف به جماهير أهل السنة، عامة أهل السنة على أن النار لا تفتنى أبدًا، وأن المشركين والكافرين خالدين مخلدين فيها.

"لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا" قال العلماء فيها: لَابِثِينَ أي أحقابًا لا تنتهي، كلما مضى حقب أتى آخر، هذا قول، وقول آخر: أنها متعلقة بما بعدها، "لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا \* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا" بمعنى أن هناك أحقاب متعددة في النار لا يذوقون فيها بردًا، فإذا انتهت هذه الأحقاب، يأتي نوع آخر، ولون آخر من ألوان العذاب، فهم يلبثون ويمكثون في النار أحقابًا متعددة، بهذا الشكل وبهذا اللون من العذاب، "لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا".

"لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا \* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا" لا يذوقون فيها بردًا، البرد: ما يبرد جلودهم، وما يدفع ظمأهم، ولا يجدون فيها بردًا أي روحًا، راحة، ليس لهم فيها راحة، لا يجدون فيها "برْدًا" أي ليس فيها نومًا كما قال بعض العلماء، لأن البرد بمعنى النوم، كما يقال: "أذهب البرْدُ البرْدَ" أي اذهب البرد

النوم، فالكفار لا ينامون في النار ولا يستريحون ولا يجدون ما يبرد جلودهم، نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية.

"لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا \* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا" الحميم: هو الماء الحار، الذي يشوي البطون،

نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية، والغساق: هو صديد أهل النار، الذي هو في غاية التن والكراهة، هذا هو شرابهم.

"لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا \* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا" هذه العقوبات وهذا الجزاء "جَزَاءً وَفَاقًا" أي موافقًا لأعمالهم، هذا الجزاء وفاقًا لهم على ما عملوا من الأعمال، من الشرك والظلم والفجور والكفر والعصيان.

الله سبحانه وتعالى هو أعدل عادلين، الله سبحانه وتعالى هو أحكم الحاكمين، الله سبحانه وتعالى لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، الله سبحانه وتعالى جعل هذا الجزاء وفاقًا أي موافقًا لأعمالهم، وهذا من رحمته، وهذا من عدله سبحانه وتعالى وحكمته أنه يجزي على الحسنه بعشر أمثالها، ولا يجزي على السيئة إلا بمثلها، فضل وعدل من الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة، لا يظلم مثقال ذرة.

"جَزَاءً وَفَاقًا" أي هذا العذاب وهذا الجزاء موافق تمامًا لأعمالهم، التي عملوها في هذه الحياة، "إِنَّهُمْ

كَانُوا لَا يَزُجُونَحِسَابًا" لا يخافون من الحساب، لا يخافون يوم القيامة، لا يؤمنون بالبعث ولا أن الله سبحانه وتعالى سيجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة، وهذا هو حال كثير من الناس؛ عندما يغفل الإنسان عن الحساب وعن البعث والنشور، عندما يغفل الإنسان عن الموت وعن القبر، عن الجنة وعن النار، فإنه يبعد عن ربه سبحانه وتعالى، ويسهل عليه فعل الذنوب والمعاصي، لكن كلما علم الإنسان وكلما تيقن الإنسان، وأيقن أن هناك جزاء، وأن هناك حساب، وأن هناك جنة ونار، فإنه يكون دائم الوصال مع الله سبحانه وتعالى، دائم الانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى، دائم الخوف من الله سبحانه وتعالى، "إِنَّهُمْ" هؤلاء "كَانُوا لَا يَزُجُونَحِسَابًا".

"وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا" كذبوا بهذه الآيات، هذه المعجزات التي أتى بها رسل الله سبحانه وتعالى،

كذبوا بها تكذيبًا شديدًا واضحًا صريحًا، جاءتهم البينات والآيات والمعجزات فعاندوها، "وكل شيء

**أَحْصِيْنَاهُ كِتَابًا** كل شيء من قليل وكثير، من خير وشر، حتى الكلمة يحصيها الله سبحانه وتعالى، **"وكل شيءٍ أَحْصِيْنَاهُ كِتَابًا"**، **"ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد"** ق: ١٨٠.

**"كل شيءٍ أَحْصِيْنَاهُ كِتَابًا"** أي مكتوبًا، قيل: مكتوب في اللوح المحفوظ، كل شيء أحصاه الله سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ، في هذا الكتاب، وقيل: **"وكل شيءٍ أَحْصِيْنَاهُ كِتَابًا"** أي تكتبه الملائكة، كل شيء يفعله الإنسان أو يقوله، ذهابه ومجيئه، أقواله، أفعاله، تُحصى عليها أيها المسلم ملائكة الله سبحانه وتعالى الكرام الكاتبين، حتى إذا ما جئت يوم القيامة ووقفت أمام الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى يأمر أن تأخذ هذا الكتاب، وتقرأ ما جاء فيه كما قال الله سبحانه وتعالى: **"وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا"** الكهف: ٤٩. انظر عبد الله ماذا ستجعل في هذا الكتاب؟ ماذا ستجده؟ انظر ماذا تحب أن تجده يوم القيامة من الأعمال، من الأقوال، وأودعه في هذا الكتاب، واعلم أن ما تفعله من شر سواء فعل أو قول ستجده يوم القيامة، إياك أن تتحسر وتندم في يوم لا ينفع فيه الندم، وتقول: يا ليتني ما فعلت كذا، يا ليتني ما قلت كذا.

**"وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصِيْنَاهُ كِتَابًا فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا"** هذه الآية هي أشد الآيات على المشركين، كما نقل ذلك عن عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة، هي أشد آية في عذاب الكفار **"فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا"**، وهي أيضًا من الآيات التي تدل على مذهب أهل السنة والجماعة في خلود أهل النار في النار، إنهم لا يخرجون منها أبدًا، لأن القول بفناء أهل النار أو بفناء النار هذا يستوجب أنهم لم يزدوا في العذاب بل يُخفف ويزول العذاب، قال الله سبحانه وتعالى: **"فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابًا"** فهم في عذابٍ دائمٍ متزايد، نسأل الله سبحانه وتعالى العفو والعافية.

### عاقبة المتقين

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى: **"إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا \* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا \* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا \* وَكَأَسَا دِهَاقًا \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا \* جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا"** النبأ: ٣١-٣٦، لما ذكر الله سبحانه وتعالى حال المجرمين، ذكر مآل المتقين، فقال سبحانه وتعالى: **"إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا"** المتقون: الذين اتقوا غضب الله سبحانه وتعالى وسخطه، الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، الذين ائتمروا بما أمر الله وانتهوا عما نهى الله سبحانه وتعالى، الذين يعملون بطاعة الله على نورٍ من الله، يرجون ثواب الله ويتتهون عن معصية



الله على نورٍ من الله، يخافون عقاب الله سبحانه وتعالى، هؤلاء الذين أُعدت لهم الجنة **"تلك الجنة التي نُورثُ من عبادنا مَنْ كَانَ تَقِيًّا"** مريم: ٦٣ .

**"إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا"** لهم فوز لهم مفازا، لما ذكر الله حال المجرمين ذكر مآل المتقين، فقال: **"إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا"** الذين اتقوا سخط ربهم بالتمسك بطاعته والانكفاف عن معصيته، لهم **"مَفَازًا"** فوز عظيم ومنجًا وبُعد عن النار، وفي هذا المفاز لهم **"حَدائقٌ وَأَعْنَابًا"** الحدائق هي البساتين الجامعة لأصناف الأشجار الزاهية والأنهار، وخصَّ من هذه الأشجار الأعناب، خص العنب لشرفه وكثرته في هذه الحدائق، ولما فيها من النفع الذي ينتفع به من الزبيب والأكل الطيب ونحو ذلك، **"حَدائقٌ وَأَعْنَابًا"** تنفجر خلال هذه البساتين الأنهار.

ثم قال سبحانه وتعالى: **"حَدائقٌ وَأَعْنَابًا \* وَكَوَاعِبٌ أَتْرَابًا"**، كواعب جمع "كاعب"، وهن النواهد، التي لم تنكسر ثديهن، لنضارتهن وشبابهن وقوتهن، أترابًا أي في سنٍ واحدة، ومن عادة الأتراب أنهن يكن متآلفات، متحابات، مقتربات بعضهن من بعض، في سن واحدة، وأكثر العلماء على أنه هو سن الثلاث وثلاثين سنة. **"وَكَوَاعِبٌ أَتْرَابًا وَكَأَسًا دِهَاقًا"** كأس خمر، **"دهاقًا"** مملوءة مترعة من الرحيق ومن الشراب اللذيذ، **"لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا"** لا يسمعون فيها اللغو، هو الكلام الباطل، **"وَلَا كِذَابًا"** لا إثم، ليس فيها إثم كما قال سبحانه وتعالى: **"لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا \* إِلَّا قِيلًا سَلَامًا"** الواقعة

. 25:٢٦

الجنة ليس فيها شيء يضر الإنسان، حتى الأمور المعنوية، وهذا إشارة على أن الإنسان عندما يصاحب أهل الباطل وأهل الفجور الذين يكثرون من السب والشتم والقذف هذا والله عذاب، هذا عذاب للإنسان، عذاب معنوي، لذلك كان من نعيم أهل الجنة **"لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا"** هذا **"جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا"**.

الله عز وجل أعطاهم هذا الشراب الجزيل وهذا الفضل وهذا الإحسان **"جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا"** أي بسبب أعمالهم التي وفقهم الله سبحانه وتعالى لها، عطاءً كافياً كما يقال: أعطاني فأحسبني، أي أعطاني فأكفاني، **"فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ"** الإنفال: ٦٢، أي كافيك الله، **"عَطَاءٌ حِسَابًا"** أي كافياً، لا يتطلعون إلى شيء بعده.

## الله رب السماوات والأرض

ثم ختم الله سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة بقوله سبحانه وتعالى: **"رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا \* يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا \* ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا \* إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"** النبأ: ٣٧-٣٨، الله عز وجل الذي أعطاهم هذه العطايا، هو ربهم رب السماوات والأرض، **"رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ"** سبحانه وتعالى الذي خلقها ودبرها سبحانه وتعالى، **"الرَّحْمَنُ"** الذي رحمته وسعت كل شيء، ونلاحظ أن هذا الاسم تكرر في هذه السورة، تكرر مرتين، الله سبحانه وتعالى هو الرحمن؛ الذي رحم عباده والرحمة العامة، وهو بعباده المؤمنين رحيم، الرحمة الخاصة سبحانه وتعالى.

ومن دلائل رحمته التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في أول السورة أنه جعل لنا الأرض مهادا والجبال أوتادا، والله سبحانه وتعالى جعل لنا الليل لباسا والنهار معاشا، هذا كله والله من رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده، الرحمن الذي رحمته وسعت كل شيء، فرباهم ورحمهم ولطف بهم سبحانه وتعالى حتى أدركوا ما أدركوا.

## عظمة الله وملكه يوم القيامة

ثم ذكر الله سبحانه وتعالى عظمته وملكه العظيم يوم القيامة، وأن جميع الخلق كلهم ساكتون في هذا اليوم لا يتكلمون، **"إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا"** لا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين، يأذن له الله سبحانه وتعالى، ويكون ما يقول صواب حق ليس فيه باطل.

**"ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ"** الذي لا مرية فيه، لا يروج فيه الباطل، **"ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ"** هذا اليوم يوم يقوم الروح وهو جبريل عليه السلام والملائكة - عموم الملائكة - صفا، خاضعين ذليلين لله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على عظمة الله، وعلى عظمة هذا اليوم.

## الاستعداد للآخرة

فلما رغب الله سبحانه وتعالى: **"يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا \* ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا"** فمن شاء اتخذ إلى ربه عملا صالحا، مرجعا

يرجع به إلى الله سبحانه وتعالى، اتخذ إلى ربه سبيلاً وطريقاً يوصله إلى الله، يرضى الله سبحانه وتعالى به عنه.

"فَمَنْ شَاءَ" هذا دليل على أن العبد له مشيئة وله إرادة بها يقع فعله، وهذا لا ينافي مشيئة الله سبحانه وتعالى الشاملة، كما قال الله سبحانه وتعالى: "لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ \* وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" التكويد: ٢٨-٢٩، فأنت لك إرادة ولك مشيئة بها يقع فعلك، لذلك تحاسب عن هذه الأفعال يوم القيامة.

"فَمَنْ شَاءَ" منكم، "فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءً" لأن كل ما هو آتٍ قريب، فالله سبحانه وتعالى أُنذَرنا وخوفنا وحذرنا من يوم القيامة، "إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا"، كما قال الله سبحانه وتعالى: "اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ" الأنبياء: ١٠ وقال: "آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ" النحل: ٦، فكل ما هو آتٍ قريب، فيوم القيامة قريب، لذلك قال الناظم:

يا من بديناه انشغل و——— طوله الأمل

الم———وت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

الله سبحانه وتعالى أُنذَرنا هذا العذاب: "عَذَابًا قَرِيبًا \* يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا" ينظر المرء ويرى ما قدمت يده، هذا الذي يهمله ويفزعه، ينظر في هذه الدار الإنسان ماذا قدم لهذا اليوم؛ ليوم المعاد؟ "يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ" فانظر يا عبد الله ماذا قدمت لهذا اليوم؟ لذلك قال الله سبحانه وتعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ" الحشر: ١٨.

"وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا" يتمنى الكافر يوم القيامة أن يكون تراباً، لأن الله سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث الصحيح، يقضي بين البهائم، فيقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يكونوا تراباً، فيتمنى الكافر أن يكون كالبهائم، لذلك يقول: "يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا". ينبغي للمسلم أن يعمل لهذا اليوم، وينظر ما قدمت يده، ويحذر أشد الحذر من الندم في هذا اليوم الذي لا ينفع فيه الندم.

تم بفضل الله سبحانه وتعالى تفسير سورة النبأ والله سبحانه وتعالى الموفق، أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيراً.